وسط البلد

سامح الجباس

وسط البلد / رواية

سامح الجباس

الطبعة الأولى ، ٢٠٠٩

OKTOB NET

دار اكتب للنشر والتوزيع

القاهرة ، ١ش المعهد الديني ، المرج

هاتف : ٠٢٢٤٤٠٥٠٤٧

موبايل : ٠١٢٩٢٥١٥٩٢ - ٠١٨٢٣٦٣٠٣٥

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تصميم الغلاف:

حاتم عرفة

رقم الإيداع : ٢٠٠٩/٧٣٢٢

I.S.B.N: ٩٧٨-٩٧٧-٦٢٩٧-٩٠-٦

وســط البلــد

رواية

سامح الجباس

الطبعة الأولى

٢٠٠٩

دار اكتب للنشر والتوزيع



محطة السادات

لابد أن الناس فى جهنم – و العياذ بالله – سيُحشرون فى أتوبيس كالذى أقف فيه الآن . ستشوى النار هيكل الأتوبيس فيفح لهيبه على المعذبين أضعافا مضاعفة . ستتلاصق الأجساد المبللة برائحة العرق الكريهة وروائح الأحذية المقرفة حتى تضيق الصدور ويُصبح الحصول على نفّس واحد من الهواء هو منتهى الآمال .

ولكن ماذا عنى أنا .؟؟ هل أصطلى بالنار فى الدنيا و الآخرة أيضا .؟؟ لماذا يارب .؟؟ ألا تكفى الآخرة ان كنت ستُدخلنى النار و العياذ بالله .؟؟ هل كُتب علىّ العذاب ؟

اللعنة على العمل و الزواج و الأولاد و الحياة كلها ..!

هاقد جاء أحد الزبانية يتملص بين الأجساد . ينغز الظهور و يطأ الأقدام ويمسح عرقه فى ملابس الواقفين ولايكفيه هذا بل يصيح بصوت كالنهيق :

- تذاكر .!

- لو ينقلب بنا الأتوبيس – كما يحدث عادة – لكنت أسعد الناس إذ كيف أعود إلى بيتى يا ناس و العيد بعد أسبوع

و الطلبات فى انتظارى .. طعام .. كسوة العيــال .. عيديــة لأطفال الأقارب .. خروج لتمشية المساخيط ..وأنا موظف.. لا أظن أننى أحتاج الى توضيح أكثـــر ..أنـــا رجـــل أحـــب الصراحة.. آه ..أففف .. من أخرج تلك الريح المقرفة .؟؟ ماذا تأكلون .؟؟ تبن .؟؟!!

أعود أقول أننى كأي موظف حكومى أعمل بمواعيد رسمية و لكننى منحوس .. نعم منحوس لأن عملى ليس لـــه علاقـــة مباشرة بالجمهور.. لا تبتسموا ففى الجمهور الكثير من المنافع . فمع كل ورقة أوقعها:

" صباح الفل .. خد لك سيجارة مارلبورو ونضّف صدرك م المصرى . "

ومع كل دوسيه أستخرجه :

"خد البريزة دى و خش على ولادك النهاردة بحاجة حلوة."

ومع كل دمغة أضعها :

" مفيش فكة .؟؟ و هو انا برضه كنت حاخد باقي الشلن منك ..؟؟ صباحو أبيض "

ومع كل طلب أتماطل فيه يقترب منى ويا سلام اذا كـــان صيدلانيا :

" خد الحباية الزرقا دى و شد السونكى .. "

ولكن أنا منحوس .. حاولت أكثر من مرة أن أسترضـــي المدير ليُعيدني إلى عمل له علاقة بالجمهور إلا أنه يرفض ..

يارجل ابتعد عن مؤخرتي .. النسوان تملأ الأتوبيس .

- ١ -

تتعجبون .؟؟ تقولون هل تريد أن تغتنى من حرام .؟؟ هـــا هاها .. أنا يا سادة رجل توقفت عن الضحك على نفسى كما تفعلون ..ألا ترون السيارات الفخمـــة و الأبـــراج الـــشاهقة والمطاعم الفاخرة التي تمتلىء بأولئك السادة المحتـــرمين الـــذين يعملون — بجدية — فى نهب أموال الناس من أمثـــالكم تحـــت مسميات الصفقات و الحصانة و المناصب ..

تنظرون إليّ باحتقار ثم تتعلق عيونكم بهم بانبهار .؟؟ تعيش مصر فى القرن الواحد والعشرين!! .

أف ..هذه إشارة مرور و الطريق واقف كالعادة و سيموت نصفنا قبل أن يتحرك الأتوبيس .

فى الإشارات أحب أن أُسلّي نفسي بـــالنظر مـــن نافـــذة الأتوبيس إلى واجهات العمارات ممنّياً نفسى أن تخرج أحداهن بقميص نوم يتلألأ منه ثدياها متعة للناظرين ..

آه .. عمود فى مؤخرتى و روائح من حولى و فتاة جميلـــة تقف فى البلكونة تتحدث بانفعال مع رجـــل مـــسن يجلـــس أمامها..ما أجملها من حياة ..!!

- ٢ -

شارع محمد محمود

حتى نسمة الهواء المنعشة فى هذا الحر لم تُفلح فى ترطيب الجو بينى و بين أبي ..هكذا أنا دائما مع أبي .. خلافنا وصياحنا عند النقاش عادي جداً ..

يقولون أنه خلاف طبيعى بين الأجيال إلا أنني أعتقد أنني من كوكب و أبي من كوب آخر .. فماذا لو ارتديت جيترا ضيقاً يُبرز جمال مؤخرتي .؟؟

وماذا عن الجيب الضيقة التى تُبرز استقامة ساقىّ و امتلائهما؟؟!!

لو ارتديت كما يريد أبي لبدوت شاذة بين أصدقائي وبين الفتيات فى الشارع ..

نا نريد الزواج فى تلك الأيام الصعبة . لا تنزعجوا فهذه هى الحقيقة الوحيدة فى حياتنا ..

نقول : نريد التعليم .. و نقصد : نريد الزواج .

ونقول : نريد دخول الجامعة للحصول على شهادة .. ونقصد : للحصول على عريس ..!

نصرّح : نريد العمل لإثبات الذات .. و نقصد : نريد فرصة أخيرة لاصطياد زوج .!

هكذا هى المرأة تقول شيئا و تقصد شيئاً آخراً و هذا هو ما يجذب الرجال إلينا .

حسناً يا أبي .. سأدعك وحدك فى الشرفة و أدخل حجرتي و أغلقها عليّ حتى تعود أمي من عملها .. اللعنة على المال ..

ماذنبي أنا فى راتب أمي و معاش أبي و بطالة أخي المهندس؟؟!!

أنا فتاة يا ناس .. افهموا ..!!

الفتاة تعنى ملابس .. مكياج .. موبايل ..و ربما سيارة ..! كيف إذن يأتي العريس الذى أتمناه .؟؟

ابن صاحب العبّارة .؟؟ يا سلاام ..!

ابن عضو فى مجلس الشعب .؟؟ يا عيني ..!

ابن مسئول حكومى مرتش .. ياريت ..!

أنا أعرف أنني فاتنة .. مغرية .. مزّة .. كما يقول الشباب..!!

أنا فتاة واقعية، وشريفة .. نعم .. كل صديقاتي يقلن أن أهاليهن أغنياء و الآخرون يصدقون .. هن مثلي تماما و لكنهن يتميزن بالشطارة ..

وفاء الجميلة الهادئة المحجبة لا تُكلّف أبيها فوق طاقته و إنما تضحي ببضع ساعات من وقتها مع صديقها الخليجي فى شقته عند زيارته لمصر و أحيانا مع شقيقه الذى يرغب فى رؤية أهراماتها وربما سمحت له أيضا بدخول أبو الهول .

أما تغريد فهى أكثر التزاما فقد طلبت مني أن أصورها بملابسها الداخلية ثم وضعت صورتها على الفيس بوك و هى تطلب مصادقة الشباب فى مقابل كروت شحن .

فقط بالموبايل !!!

أصارحكم أنني أفكر جدياً في دخول عصر التكنولوجيا .. ماذا عن اليوتيوب .؟؟

يوووه .. الموبايل يرن ... رقم لا أعرفه ..

ألو ..

ماهذا .؟.؟ أغلق الخط .؟؟

معاكسة .؟؟

***

- ٣ -

كـــنـــتـــاكـــى

قلبي سيتوقف في صدري .. سأموت بعد لحظات ..آآآه ..

كيف طاوعني قلبي و أغلقت الخط .؟؟ ماهـــذا الـــصوت الساحر .؟؟

أردت أن أطلب سعيد صديقي فهل أخطـــأت و طلبـــت الجنة..؟؟ هل ردتّ عليّ واحدة من الحور العين .؟؟ هل يمكن أن أحب من مجرد كلمة واحدة .؟؟ ألو .؟؟

من هي .؟؟ كيف تبدو .؟؟ كم عمرهـــا .؟؟ هـــل هـــي متزوجة .؟؟ مرتبطة .؟؟

سأطلب الرقم مرة أخرى و أحدّثها .. أتعرّف عليهـــا .. أطلب أن أراها ..

سأتعرف عليها، وأقول لها أنا فلان الفلاني الطالب بنـــهائي كلية العلوم و هذا أبي يعمل نجّار مسلّح يتعلّق على ســـقّالات العمارات طوال اليوم بينما نحن نسكن في حجرة، و صـــالة في حارة قد نسيتها الحكومة منذ زمن ..

أنا يا ملاكي فلان الفلاني عالِم المستقبل .. عاشق الفيزيـاء الذى سيدفعه هجران الوطن للعلم، وكراهيتـه للعلمـاء إلى الجنون أو الانتحار ..

أنا يا ذات الصوت الملائكي أول دفعتي لـثلاث سـنوات متتالية بينما ابن أخت عميد الكلية الرابع على الدفعة .. أنـا الآن في السنة النهائية التى سأتخرّج منها – إن شاء الله – لأجد نفسي فى الشارع، ولأحجز لي مكاناً في المقهى مـع زملائـي الخريجين فى السنوات العشر الأخيرة .!

تهتفين :

- كيف ؟ أنت الأول .. ستصبح معيداً في الكلية بلا شك. سأضحك من حديثك حتى يتوقف قلبي :

- ساذجة .. كل الكلية تعرف منذ الآن من سيكون المعيد.

- متشائم .. الدنيا بخير،وكله تمام .

- هذه دنياكى أنت يا ملاكي .. دنيا الأكابر بخير .. دنيا الملابس الجديدة وجلسة التشمس في النادي وقت العصاري .. أما أنا فدنياي كئيبة ليس بها إلا شباك صـغير يطـل علـى الشارع..

- هل ترين هذه المرسيدس الفاخرة .؟؟

هل ترين هذه السيدة البائسة التي تُمسك بطفلـــها الحـــافي وتحاول أن تعبر الطريق .؟؟

لاتؤذى عينيك بهذه المناظر و لتتـــأملى أنـــت فى حديقـــة فيلتكم.

بالمناسبة ..هل تسكنين المريوطية أم المنصورية .؟؟

***

- ٤ -

سنترال التحرير

شارع يقرف، ويوم أغبر يوم أخطأت و دخلت هذا الشارع بسيارتي المرسيدس .. هذا شارع لا يعيش فيه إلا البهائم فقط وأنظف عربة تمر به هي العربات الكارّو ..

أخيراً انتهت جلسة إجتماع الحزب المملة .. كلام في كلام.. يا ناس افعلوا بالبلد ماتريدونه، ودعونا نرى أشغالنا .. عندى ميعاد هام جداً، وهذا الشارع القذر سيعطّلني لا محالة .. و هذه المرأة تريد عبور الشارع .. وهل أنا مغفل كي أقف حتى تتمخطر هي، وابنها الجربان وتعبر الشارع .؟؟

يا بشر ..!

أنا وقتي يُحسب بالمال .. الساعة عندي بالجنيه، و ليس بالدقيقة و ....

ماهذا .؟؟ أهذه امرأة حقاً .؟؟ كلا و الله .. هذه مهرة .. فرس جامح ..

فرملة ثم وقفة ..

سبحان العاطي .. هذه ليست امرأة عادية على الرغم من رثاثة ملابسها ..جسمها جباااار ..!

غير ممكن .. نار تشب في جسدي يا ناس ..!

أهذا جسد يخرج من هذه الحارة .؟؟ مالها تكاد أن تبكـــي وطفلها هزيل يبدو كأنه قادم من مجاعة ..

أنا خلفك أيتها الفرس الجامحة، وفي جيبي مـــا سيروّضــك ويجعلك تفتحين ساقيك لي راضية.. أعرف أن عندي مواعيد..

أرجوكم اتركوني في حالي الآن ..

السيارة تسير على مهل إلى جوارك :

- تعالى .!

لا تردّين .؟؟ بالدلال ..!! تُـسرعين الخطـى .؟؟ هــل ستسبقين السيارة يا بلهاء .؟؟

- تعالى أوصّلك .

- اتركني لحالي يا بيه الله يخلّيك .

صوت قوي يزجرني بعنف، وغـضب .. أحـب القـوة، والعنف اللذيذ :

- مقدرش أسيبك .

- عيب يا باشا .. انت راجل محترم .

- محترم جداً .. وحاتنبسطي معايا جداً .!

تدخلين فى شارع آخر .؟؟

أنا وراء مؤخرتك ..

- مش عاوزة تشتري هدوم جديدة لابنك .؟؟

تنظرين بعيون منكسرة إلى ابنك .؟؟

- ابنك شكله محتاج لدوا و أكلة حلوة .

أرى الدموع فى عينيك .

- حاديلك اللي انتي عاوزاه .

لا توافقين .؟؟ طماعة أنت ..

- خدي الورقة أم خمسين دي عربون .

الولد يمد يده .. ما هذا .؟؟ تجذبينه بعيدا و تضربيه .؟؟

بحدة أصيح :

- اركبي .

تبتعدين يا بنت الـــ ....

حسناً خذي مني هذه البصقة عليــك، و علـــى الــشرف، و على .....

هاتفي الملعون يرن ..

***

- ٦ -

البـــــتان مول

الباشا تأخر ..

كان يجب أن يكون هنا منذ ساعة على الأقل حتى يخـــبرني بما سأقوم به من أجل الزفاف الكبير .. تُرى ماذا سيُقدم الباشا لابنة الوزير فى حفل زفافها .؟؟

تُرى هل اشترى الهدية أم ينتظر أن أشتريها له .؟؟

طبعا سيشتري هديتين واحدة لها، و الثانية لي فأنا سكرتيرته التي لايستطيع الاستغناء عنها، ولكن لماذا تأخر؟؟ و لماذا لا يرد على الموبايل .؟؟

أخشى أن يكون فى أحد مشاويره الخاصة .. فالباشا الذى تحيط به أجمل سيدات المجتمع رجل " رمرام " ويكون فى أحلى حالاته عندما تشتمه سيدة، وهى تخرج من أوسخ حارة ..

هذا الباشا الذي يخشاه الجميع أنا أملك كل مفاتيحه ..

كل أعماله أنسّقها له، وحتى سيدات المجتمع أحضرهن إلى فراشه حسب طلبه، وأحيانا طلبهن ..!

إنه عمل، ولكن كيف يتأخر ذلك المأفون فى يوم كهذا .؟؟

أخيرا يرد :

" حاستناكي تحت .. "

حسنا .. حقيبتي .. مرآتي .. الأسانسير ..

أخرج لأجد البواب يُحيى الباشا :

- مساء الخير يا باشا .

- مساء القطران يابن الكلب ..!

***

- ٧ -

محمد بهلول

إني ابن كلب .؟؟!

فعلا .. تحولوا إيه ف اللي ساب الجراريط اللي كان بيزرعها، وشد الرحال على مصر عشان يجعد على دكة .؟؟

كل يوم بيعدي عليّا ف المدعوقة دي و اني بضرب نفسي بالصرمة القديمة .. منه لله الشيطان لعب براسي لما كنت بشوف ناس مصر و نضافتهم، و الفلوس اللي بتخرج من جيبهم و اني واقف طول النهار ف السمس أفحت ف اللأرض عشان أخرة الموسم أسدد الديون للبنك الزراعي، وأتمخطر بالليل أشد نفسين حشيش ع القهوة، وأروح بعدها أركب الولية و أنام زي الشوال .

كفرت يا هوه لما حبّيت أسيب الطين .؟؟

ف يوم سبت الولية الممصوصة، والعيال يزرعوا الأرض وجيت مصر ..

أنا حمار صحيح بس أعجبك ..

من أول يوم شغل تشوفني كأني اتولدت بواب .. أمسح سلم العمارة، وأكنس المدخل، وأجيب طلبات السكّان بس بعد شهور بدأت الشغل اللي بجد ..

القرش يحب صياده، وأهو شغلانة من هنا .. بيعة من هنا .. أأجر شقق فاضية ف العمارة لأولاد العرب .

الواد من دول ياخد الطيارة من بلدهم كل صيف زي ما احنا بناخد الخطر القشّاش، ونسطّح لحد البندر ..

يطب الواد جيبه عمران، وريقه بيجري ع النسوان .. يخلع الواد الجلابية و يلبس البنطلون . يشتري سيارة أو يؤجرها ..

يأتى الواد عندي .. ألقاه بالكرم، و الحفاوة .. أحاوره، وأناوره .. أأوكد له أن أهل العمارة فى طيبة الأطفال .. يسألني عن الإيجار وهو مرتبك .. أفتكر ما يحكيه لي ابن عمي عن معاملتهم للمصريين ف بلدهم ..

أخبره عن الأجر مضاف إليه عرقي ..

كل يوم، والتالي يأتي الواد ساحباً معه فردة .

مساء الخير يا عم .....

مساء الفل يا باشا .

لحظات، وتكون الفلوس في كفي .. خدها مني كلمة يا خال الدنيا دى مفيهاش حاجة اسمها حرام ..

أهو واحد منهم وصل أقول له وإيدي بتحسس ع القرون اللي نبتت ف راسي :

- اتفضل يا باشا ..

- ٨ -

يدس البريزة في يدي، وعيني بتقفّش ف جسم البنت اللـــي ساحبها .

همّا بيجيبوا النسوان دي منين .؟؟!!!

***

حتى دخان السجائر يصنع حولي أشكالاً مثيرة .

الآن أجلس وحدي بعد أن غادرتني .. لن أستحم .. أتخيل أبي فى جلسته فى قاعته المكيفة، وهو يفكّر في المال الذى سيأتيه، و في المرأة التى سيقضي معها ليلته .

تُرى أي من زوجاته سيختار الليلة .؟؟

أمّا فى الليالي التى يملّهن جميعاً ينادي فيها على أبو مسعود .. و أبو مسعود هو الموظف المسئول عن إمداد أبي الشيخ الفاضل بأحدث الأفلام الجنسية، وهو يحتفظ بها فى مكتب مفتاحه لا يفارقه قط، وقد فشلت أكثر من مرة فى رشوته ليفتحه لي .. بصراحة أنا لست سعيداً هناك .. أنا فى مصر سعيد ..

هنا لا أصلّي، و لكنني سأصلي عندما أعود ..

هنا أرتدى البنطلون، وسأرتدي العباءة، والدشداشة هناك..

هنا تتمتع عيناي برؤية الحريم، وسأغمضهما عندما أرجع ..

هنا أتمتع بالمال أما هناك فماذا أفعل بالمال، والجميع معهم مثلي و ربما أكثر ..

أمران لم أفهمهما في حياتي :

لماذا يترك المصريين هذا البلد، ويرحلون إلى بلاد القســوة، والصحراء .؟؟

ثم.. لماذا لا يكف جارى ضابط الشرطة عن نظراته النارية التي يرمقني بها .؟؟

ماذا فعلت له .؟؟

***

- ١٠ -

مقهى ريـــش

سأفعلها و لو كان ذلك آخر ما أفعله في حياتي .!

أصابني عملي بالقرف.. كلكم يقابل أناساً محترمين، وغــير محترمين في حياته إلا أنا .. مكتوب عليّا ألاّ أتعامــل إلا مــع الأوباش، وولاد الكلب، و الحرامية، و البلطجية، والإرهابيين..

أتمنى لو أسمع لفظاً جميلاً .. أدفع نصف عمري لأقضي يوماً بدون أن أسمع فيه الشتائم أو أرى الصفعات، والـــركلات .. وأشياء بسيطة أخرى ..

حتى أنا الرجل العادي تغيرت في بيتي .. حاولت كـــثيراً أن أضع فاصلاً بين عملي، و بيتي .. تصوروا أنني في بيتي أنـــادي زوجتي " يا ولية " ..

و أهتف، وأنا أدلل أولادي :

" عاملين إيه يا ولاد الكلب .؟؟! "

وذات يوم نبهتني زوجتي إلى أنني قلت لأخي الشاب :

" يا مجرم ..! "

و الغريب أنني صباح اليوم كافأت البواب على توصيلي الحقائب بصفعة قوية على قفاه .!

ضعوا أنفسكم مكاني .

في الصباح، وكل خلق الله يذهبون إلى أشغالهم، وتدور بينهم أحاديث عن سهرة الأمس بين السندوتشات، وأكواب الشاي .

أما أنا فأدخل إلى القسم لتطالعني سحنات الجنود، والشاويشية القرفانة المرهقة .

- أدخل مكتبي لأجد مساعدي واقفاً أمامي، وبدون صباح الخير يبدأ يومي :

- مسكنا بالليل العيال الصيع اللي ضربوا الصايغ .

- فضّينا وش الفجر خناقة قامت ف القهوة، ونقلنا المصابين ع المستشفى .

- الواد الإخوانجي اللي مسكناه من أسبوع مستني سعادتك.

- الراجل اللي قتل مراته اعترف إن أختها هي اللي ساعدته .

و يأتيني التليفون من الباشا الكبير يأمرني أن أُخرج السيدة التي قبضنا عليها في شقة لأنها زوجة محترمة لرجل مهم ..

" وماله ما البلد كلها بقت بتاعتهم " وعدت سيادته بأن تعامل السيدة الشر... المحترمة، والبيه الكبير بكل احترام، وبعد أن أغلقت الخط أحسست بصفعة كبيرة على قفاي .

يلعن أبو ....

بعد هذا العمر، و هذه النجوم، و النسور على كتفي تخرج تلك المومس من مكتبي، وكأنها خارجة من الشيراتون .؟؟

هل المجرمون بداخل السجون أم خارجها .؟؟

حتى أنا ممثل القانون أعجز حتى عن إغلاق الشقة المواجهة لشقتي، والتي يستأجرها ذلك الشاب العربي .

إني أسخط على بذلتي، وعلى حياتي ..!

أنا بدون هذه البذلة لا شيء .

و أنا أرتدي البذلة :

- تفضل يا باشا .

- أأمر سعادتك .

يا منافقين .. الباشا موظف في الحكومة .. سعادة الباشا عصا في يد أكبر منه ..

التليفون يرن .. مصيبة جديدة ..

- حاضر سعادتك .

وأُلقي الأوامر إلى مساعدي :

- جهّز السيارات، و الجنود، والهراوات .. في مظاهرة ف الميدان.

فى دقائق سنكون نحن الكبار هناك للـــ .. للإقناع .!

***

– ١٢ –

ميدان طلعت حرب

اضرب .. اضرب .. اضرب ..

مابفهمش ف حياتي غير كلمة .. اضرب ..

بطلّت أحاول أفهم من زمان .. إذا كان ولاد الجامعة مش فاهمين أحوال البلد يبقى حيفهمها عسكري غلبان ف الأمن المركزي .؟؟

أعود إلى أمي ف الإجازة .. بتعمل إيه يا بني .؟؟

اضرب .. اضرب .. اضرب ..

الدنيا كمان عاملاها معايا .. بتضربني كل يوم بالشلّوت .. سحبوني كالجاموسة إلى التجنيد .. ليّا اخوات ف المدارس بس أنا كرهت العلام من صغري .. كرهت ضرب المدرسين، ووصفهم ليّا بالغبي ..

اضرب .. اضرب .. اضرب ..

حياتي كلها مرار .. وقوف ف الشمس من صباحية ربنا .. شتايم بالأم .. ملاليم بتدخل جيبي .. بحب السجاير، وقليل لما

أقدر شتريها ..الفول المسوّس، والبصل هما كــل أكلــي .. بشوف الشارع بس عشان ....

اضرب .. اضرب .. اضرب ..

الدنيا اتشقلب حالها، وكتـــاب الله .. لا النـــاس الكبـــار راضيين بحالهم، ولا الغلابة برضه .. أموت وحد يفهمني إيـــه اللي بيحصل ؟!!

العيال دول الواحد منهم كاوي شعره، ومهنـــدم نفـــسه، وبيفطر كل يوم قبل ما ينـــزل من داره، و ييجي يقعد وسط الوظاويظ يمتّع عينيه بالصدور، والأوراك اللي بيخلوا الواحـــد يحس إنه زي التور الطلوقة لما يشوفهم ف الشارع و بعـــدين يعملوا الدوشة دي ..

اضرب .. اضرب .. اضرب ..

الواحد منهم بينام على سرير طري، واني نايم ف زريبة ..

اضرب .. اضرب .. اضرب ..

الواحد منهم بياكل - و العياذ بالله - كاتشب و انا أتسمم بجراية ناشفة ..

اضرب .. اضرب .. اضرب ..

الفلوس مدفّية جيوبهم، واني بستلف السيجارة ..

اضرب .. اضرب .. اضرب ..

الحكومة بتعلمكم، وتعملوا كده .؟؟

اضرب ..

شرب الشاي الأسود كوى بطني ..

اضرب ..

ليه الدنيا فيها ناس راكبة و ناس تتركب .؟؟

اضرب ..

أهو واحد هايف بيجرى قدامي أهو زى المرة ..

والله ماحاسيبك ..

ابن الأبالسة عاوز يسبقني، ويستخبى ف الكنيسة ..

وراك و راك ياروح امك .. حامسكك و ..

اضرب ..!

***

- ١٤ -

جروبي

لا يهمني يا أبونا إن كنت تجلس خلف نافذة الاعتـــراف أم لا ..

لا يهمني أنني لم أدخل الكنيسة الآن إلا للاختباء من رائحة القنابل المسيّلة للدموع التي تملأ الشارع .

لا أفهم يا أبونا معنى لصوت لهاثك الذى يأتيني من خلـــف خصاص النافذة الصغيرة .. هل كنت تجري يا أبونـــا.؟؟ لم لا ترد .؟؟ وهل أنت حقاً أبونا .؟

لا يهمني .. فأنا اليوم أريد أن أتكلم .. طهقـــت .. أنـــا صاحب الستين عاماً أريد أن أعترف للمرة الأولى في حياتي .. هل تنتقم مني يارب .؟؟

مارست كل ماطلبته من واجبات دينية، وصبرت كـــثيراً، وبعد ستين عاماً أسألك :

هل تعاقبني يا رب .؟؟

زوجتي التي تزداد بدانة، وبشاعة عاماً بعد عـــام، ولـــسانها الذي لا يهدأ عن الزعيق وحتى " حياتنا الطبيعية " ترفـــضها، وتسميها نجاسة ..

أيها الرب لم زرعت فينا الاشتهاء ما دامت تلك نجاسة .؟؟ و لم أعطيتني " الحيوية " حتى هذه السن .؟؟

هل أزل في تلك السن .؟؟ ومع ذلك .. لا يهمني ..

أستيقظ حزيناً لأنني لم أمت بعد .. هل أحدّثك عن جسمي الخاوي يا أبونا .؟؟ هل أحدّثك عن أثاث بيتي المتهالك .؟؟ ألم تلاحظ أنني أرتدي نفس البذلة طوال العام ؟

أتعلم يا أبونا كم ألاقي من بهدلة لأصرف علاجي الشهري من التأمين الصحى .؟؟

أبونا المقدس .. هل نحن حقاً أبناء المسيح .؟؟ هل نحن حقاً سواسية فى هذه الدنيا .؟؟ مصر بها شعبان منفصلان تماماً .. شعب غنى جداً، و شعب فقير جداً جداً جداً ..

أبونا المقدس هاجر أولادنا إلى كل بلاد الدنيا، و.. نسونا..

هل وجدوا هناك رباً غير ربنا الحي المعبود .؟؟

لماذا لا تُجيبني يا سيدنا .؟؟

لقد تعبت .. سأنهض الآن .. سأعبر الميدان حتى منتصفه ثم أقف .

سأقف فارداً ذراعيّ مصلوباً علّ سيارة تأتي ..

وتأخذني ..

- ١٥ -

شارع قـــصـــر النيل

يقولون أنني أشبه أحمد عز .

(الممثل و ليس اللي ف بالك)

أقف أمام المرآة طويلاً محاولاً اكتشاف ذلك الشبه، وتفسير ماهية تلك الأشياء المشتركة فينا . اشتريت عدد من " أخبـــار النجوم " به صورة أحمد عز . فصلت منه صورته و ألـــصقتها بالحائط المجاور لمرآتي .

سمعت مرة أحدهم يقول فى إحـــدى القنـــوات الفـــضائية (بصراحة شفته بالصدفة و انا بدوّر على كليب هيفا الجديد) أن من يريد النجاح فعليه أن يتشبه بالناجحين .

فى اليوم التالى كنت أقف أمام المرآة و معي أسلحتي لأكون مثل أحمد عز (الممثل الله يرضى عليك) أبدلت من تـــسريحة شعري، وأغرقته بالكريم، والمثبّت . تدربّت طويلا على نظـــرة عينيه ثم خرجت إلى الحياة (الشارع بتاعنا) .

فى شارعنا يتوزع أصدقائي بين طرابيزة البلياردو الجربانـــة (شوف الزمن اتدحدر إزاي بالبلياردو)، وبين الراكن علـــى موتوسيكل يستأجره قبل خروج مدرسة البنات الثانوي المجاورة

لعمل خمسات، وسبعات أمام الفتيات الداخلات بثقة على مستقبل مشرق كمزز .

وقفت للحظات حائراً : كيف سأقضي وقتي الثمين .؟؟

النت .؟؟ لا .. (أمال حاسهر فين بالليل ؟؟)

الكورة .؟؟ لا .. (أحمد عز يلعب كورة برضه .؟؟)

أشاهد أفلام مجانية فى معهد جوتة .؟؟ لا (ماليش نفس ..)

أرنّ على فتاتي .؟؟ (حاتقولي غدّيني ..)

ربما تود لو سألتي الآن : لماذا خرجت من بيتك إذن .؟؟

و الحقيقة إنني خرجت لأتظاهر بالبحث عن عمل حتى لا أسمع الموشح الأبوي اليومي عن العمل، وكيف يجلس خريج كلية الاقتصاد في البيت بلا عمل، و ربما ضرب لي مثلا بمليارديّر شاب استطاع و هو فى سن الثالثة،والثلاثين أن يكوّن عدة ملايين (ماتسألنيش إزّاي) بينما هناك الآلاف من أمثاله من المهندسين ينتظرون بشغف اثنان وثلاثون جنيهاً حوافز سنوية .

يفضّل أبي دائماً أن يضرب لي مثلاً - بين الحين، والآخر - لبعض الناجحين محاولاً أن يشحذ همتي، ويحفزني على نزول سوق العمل و بدء طريق المليون .

للأسف هو لا يعرف أن أمثاله تلك تصيبني بالإحباط .

أنا شاب واقعي أعيش في عصري، وأعرف تماماً أن نـــسبة نجاحي، ووصولي إلى علية القوم تساوي تماماً نسبة أن تختـــارني ناسا لقيادة مكوكها الفضائي الجديد .

- ١٦ -

بالأمس اصطحبني أبي إلى عضو مجلس الشعب عن دائرتنا . ذهبت معه مرغما .

قال لنا عضو الحزب الحاكم :

- عاوز تشتغل ف الخارجية.؟؟!

وهز رأسه بأسف :

- خمسة وعشرين .

بغباء سأله أبي :

- خمسة وعشرين يوم .؟؟

أما أنا ابن العصر، والأوان فقد فهمتها، وجذبت أبي من كم قميصه لنخرج و هو يسألني :

- خمسة وعشرين إيه .؟؟

و ظللت أضحك حتى وصلنا إلى البيت .

بعد أسبوع "دبّسني " أبي فى العمل نصف يوم فى سوبر ماركت الحاج ذو اللحية الطويلة، والوجه التقي الذي يشع نورا .

وافقت لأنه بالقرب من الجامعة الأمريكية (القديمة للأسف)، ولكن الأمر لم يكن يخلو من بعض الاستوماك

والاسترتشات . بصراحة العمل هناك مرتب، ومريح جـداً .. كل الأيام متشابهة .. نفتح فى الصباح الباكر و نبدأ في تجهيـز المحل قبل وصول الزبائن، وقبل صلاة الظهر دائمـاً يـسألني الحاج:

- ضفت الميّه ع اللبن .؟؟

- أيوه يا حاج .

- عملت سلطة من الجبنة اللي تاريخها انتهى .؟؟

- أيوه ..

- دخّلت اللانشون المضروب التلاجة .؟؟

- ....

- عرضت الرنجة السكةّ قدام المحل .؟؟

- ....

- طب بينا نصلى الضهر .

- ....!

تصور أنت شكل مشاجرتي مع أبي عندما تركـت هـذا العمل.

انا أفكر الآن بالتطوع فى المرور ..!

***

- ١٧ -

شارع شـــامبليون

تحرك يا سيدى ..!

قف يا باشا فالإشارة حمراء .. الشمس تلفح وجهي كـــل يوم بلا رحمة ..عرقي يجري كالنهر فى جسدي ليشكه كـــألف دبوس .. الزحام، والضجيج، والغبار يحيطون بي .. أمـــوت، وأعرف ماذا يستفيدون بوقفتي هكذا فى الشمس .؟؟

هل وقوفي هنا يجعل حركة السيارات أسرع .؟؟

أبداً و الله ..

هل وقوفي هنا يجعل الشوارع غير مزدحمة .؟؟

كلا و الله ..

أنا هنا كخيال مآتة قديم لم تعد الغربان تخشاه ..

السيارات تمرق من حولي في الميدان، وقد أغلق أصـــحاها نوافذها ينعمون بالتكييف، وأصطلي أنا النار وحدي .

أسفلت الشارع يكاد يذوب تحت حذائي الغليظ . الحـــق أقول أنه لا يهونّ عليّ وقفتي تلك إلا عبور واحدة من نسوان وسط البلد .. آه منهم ..

عندما تعبر الواحدة منهن الشارع تلتف رقبتي خلفها، وأنسى الإشارة ..

آه من الصيف إنه نعمة ربنا .. من الذى لا يحبه .. فهو يجعل النسوان تتخفف من ملابسها قوووي، وأخترق أنا بنظرى الثاقب – و خيالي – ما خلف الملابس الضيقة الشفافة و أتلظى من جحيمي الخاص ..

والشارع .؟؟ و السيارات .؟؟

ينحرق الشارع، والسيارات، وكل شيء أمام تلك البروزات ..

أحيانا أكاد أترك مكاني، وأسير خلف إحداهن، وليحدث ما يحدث ..

كنت غشيماً يا خال عند وصولي إلى الميدان، وبعدها بشهور عرفت أن شغلانة عسكري المرور أجدع من العزق ف بلدنا، وأصبح دخلي الشهري – بعد مافتّحت مخي – أكبر من دخل سياداة اللواءات الجالسين ف مكاتبهم .

أقول لك .؟؟

بدفتر صغير في يدي، وقلم جاف بنص جنيه أقف، وأهف أي سيارة تمر أمامي مخالفة . ف معظم الأحوال يتوقف أصحاب السيارات، و يسألوني عن سبب المخالفة :

- سيادتك عدّيت، واللون الأصفر منوّر .!
- سيادتك لا تلبس حزام الأمان .!
- لوحات عربية سعادتك ممسوحة .!

- حضرتك دخلت ف شارع إتجاه واحد .

وبصراحة كل ده كلام انا ملفقه .. المهم .. يجد صاحب العربية نفسه سيغرم مائتين جنيه عندها يدس العشرين جنيه فى يدى بسرعة .

ساعتها أتصنّع الدهشة، والتمنع :

- إيه ده .؟؟

- قهوتك .

- بس ...

- يتركني الرجل، وينطلق بسيارته، وأجد نفسي بالتالي ملزماً برد الجميل .. بالفعل أقوم بتغيير رقم سيارة سيادته الذى كتبته برقم آخر .. ممكن أضيف رقم لأني أكون قد كتبته ناقص رقم..

- قلتلك أنا احترفت .

- أنا لست شخصاً سيئاً يا خال .. أنا رجل طيب القلب، والله .. فلتنظر لي، وأنا أمسك بيد ذلك الطفل الصغير لأعبر به الشارع المزدحم إلى الناحية الأخرى .

ألا تظن أنني سأدخل الجنة حدف .؟؟

- ١٩ -

مسرح روابــط

ميرسيه يا أونكل .!

هذا السارع زحمة جدا .. فكيف تريدونني أنا الــصغير ذو الخمس سنوات أن أعبره وحدي .؟؟ لا أعرف ماذا يمكــن أن نفعل بدون عساكر المرور .؟؟

لا تضحكوا مني كما يفعل أصحابي في كي جــي تــو لأن بعض حروفي مكسرة .

لا تضحكوا مني حتى لا أزعل منكم ..

تستغربون أين يذهب طفل مثلي .؟؟ أنا ذاهب إلى مكتبــة فى ميدان عمو طلعت حرب لأشتري قصــصا .. أنــا أحــب القصص الملونة، والنهاردة رجع بابا من عمله، وتكلم مع ماما فى أذنها فضحكت، وطلبت مني أن أذهب لــشراء قــصص، وطلبت مني أن آخذ راحتي، ولا أعود قبل ساعتين .

فى العام الماضي قالت لي سهى التي تجلس إلى جــواري فى الديسك :

- بوسني ف بقى .

قلت باستغراب، و أنا أشعر بالقرف :

- ليه .؟؟

- شفت بابا وماما بيتفرجوا على فيلم فيه كده .

رفضت . زعلت مني، وتركتني عند المرجيحة وحدي .

أتقافز في سيري محاولاً أن أقلّد العصافير، وفجأة أشعر أنني أريد عمل بي بي .

أنظر حولي لا يوجد تواليت .. ألمح مكاناً متوارياً بين عمارتين . أقترب منه . المكان شبه مظلم . دخلت لا أحد . أنزلت البنطلون . أخرجته، و بدأت في التبول .

عندما رأيته يقف خلفي .

هل هو الغول الذى يلتهم الاطفال .؟؟

- ٢٠ -

تاون هاوس

مؤخرة بيضاء جميلة . وجبة شهية بعد القرصين اللى ضربتهم . بيقول الصيدلي إنها أقراص للصرع .. بيبيعوها بأسعار رخيصة زى ما تكون الحكومة بتدعمها عشان تكيّف الشعب، وتكون دماغه ف الطراوة عشان تعمل فيه اللي هي عاوزاه .

حكومة ظالمة والله .. بيقولوا علينا بلطجية ..

هى الجدعنة الزمن ده اسمها بلطجة .؟؟

الناس ف الدنيا دي نوعين :

نوع ليه عقل بيشغّله عشان يعيش، ونوع تاني ليه جسم بيبيعه عشان يعيش برضه ..

وانا من النوع ده .. إذا كان ربنا اداني جسم جامد يبقى ما بعش ليه العافية دي، وَ أقبض تمنها .؟؟

بس أنا راجل جدع مابعملش زي بعضهم اللي بيستقوى على ولاد حتته، ويهينهم، ويعاكس حريمهم، وياخد منهم اتاوة.

بلطجية .؟؟ و إيه يعني .؟.؟

إذا كانت الحكومة نفسها بتمارس البلطجة على النـــاس .. آه و الله ..

هو الحكومة مش بتفرض علينا الأسعار بالدراع .؟؟ هـــى مش بتفرض علينا مين اللى ينجح ف الانتخابات، و مين اللي ماينجحش .؟؟

حد يقدر يقول لها تلت التلاتة كام .؟؟

أنا بعمل زيها، وببيع عافيتى للبشوات .. أنا العصايا اللــــي بيمسكها الباشا من ورا الستارة، و يضرب بيها اللي متغاظ منه من غير مايوسّخ إيده ..

المهم .. الواد ده جالي م السما .. الاقراص دي بتــــسخني، وتجنني باين ..

بتبص على إيه يا ابن الجزمة .؟؟

خد دي على قفاك .؟؟

تعالى لعمو يا حبيبي ..!

– ٢١ –

شارع كريم الدولة

هــــه .؟؟

هوه ..

واه ...!

تستغربون لم لم أصرخ عندما ضربني ذلك المجنون .؟؟ أنـــا غيركم يا سادة ..

دنياكم صاخبة، و دنيايّ صامتة .. ألسنتكم لا تـــستقر في أفواهكم للحظات .

أما أنا فلساني ميت .. صامت .. نعم أنا أبكم أصم ..

أعلم أنكم تحسدونني على ما أنا فيه .. أنا الوحيـــد الـــذي يستطيع أن يعيش في سلام، وهدوء .. لا أسمع الـــشتائم الـــتي تتناثر من أفواهكم كل لحظة ..

لا أسمع الكذب الذي يسيل من أفواهكم .. أنتم الوحيدون الذين عرفتم أنني أعرف الكتابة، وأنتم فقط الذين سمحت لهـــم بالاطلاع على أفكاري الخاصة ..

أنا عالم وحدى .. سعيداً أحيا .. لا أحب أقراني من الصم، و البكم .. أستطيع أن أقرأ شـفاهكم، وأن أفهمكـم .. ولا تستطيعون أن تفهموني ..

بالصدفة تم تعييني موظف عهدة فى أحد المستشفيات القريبة من الميدان ..و منذ ثلاث سنوات اسـتلمت ادارة المستـشفى مجموعة من الأجهزة الحديثة ضمن مشروع المعونة الأمريكية فى احتفال كبير حضره وزير الصحة، والسفير الأمريكي، وبعدها دخلت الأجهزة فى عهدتى، ونسيها الجميع .

عرفت بعدها أن الأطباء عاجزون عن فهمها، وتـشغيلها، وبالأمس فقط استدعاني مساعد مدير المستشفى، واتفق معـي على تهريبها خارج المستشفى، وبيعها ..

طبعا وافقت و ....

اصمتوا فتلك التي تخرج من باب المستشفى الآن طبيبة فيه..

أرجوكم أمسكوا ألسنتكم، ولا تخبروها فربما أرادت اقتسام نصيبي .

- ٢٢ -

أجزخانة ستيفنسون

يقولون :

ذهبت الدكتورة .. جاءت الدكتورة ..

والدكتورة تريد الذهاب بلا عودة .. المرضى هـــم نفـــس المرضى ..

من يعاني من ارتفاع ضغط الدم يظل يجـــيء، و يـــروح، ويأخذ أدوية، و يسمع نصائح يرميها وراء ظهره ثم يفعل مـــا يحلو له، و يعود إلى طبيبه يشتكى أنه لم يتحسّن .!

أخرج من المستشفى بسرعة قبل أن يطلب مني كل من هب و دب إستشارة .

هل جرّبت أن تحيا لتستمع إلى شكاوى الناس كل يوم .؟؟

أذهب الى السوبر ماركت ليبتـــسم فى وجهـــى صـــاحبه، ويسألني :

- معدتي بتوجعني لما بجوع يا دكتورة .؟؟ ده طبيعي و لاّ محتاج أعمل أشعة .؟؟

و يقدّم لي جرسون جروبّي القهوة الصباحية، و هو يسأل :

- هو صحيح الخمرة بتضر الكبد يا دكتورة .؟؟

ويفتح لي البواب باب الأسانسير :

- رجليّا بتنقح عليّا م الوقفة .. آخد لها إيه يا دكتورة .؟؟

وتسألني الممرضة عندما ترى وجهي فى الصباح :

- ابني عنده إسهال .. أديله إيه يا دكتورة .؟؟

إننا في مصر لا نؤمن بالتخصص، والطبيب يجب أن يفهم فى كل شيء، وإلا كيف تخرّج من كلية الطب .؟؟

ولذلك تجد الناس عندما تقابل طبيب أمراض النساء تسأله :

- ابنى عنده اللوز يا دكتور .. أعمله العملية .؟؟

وبالأمس طلب مني زوجي تجبيس قدم أخيه التي انكسرت، وعندما أفهمته أننى طبيبة باطنية زجر :

- أمال أنا اتجوزت دكتورة ليه .؟؟

والآن، وأنا أقف بسيارتي فى الإشـــارة الحمـــراء أفكـــر فى حياتي.. عيادة، ووظيفة بمستشفى، وسيارة، وزواج ..

ولو سألتمونى ماذا أكره فى كل هذا لقلت لكم دون تردد : المستشفى .

فالمريض الذى يأتي للمستشفى للكشف المجاني يدخل من بابها،وهو يشعر أنه قد امتلك – بهذه المجانية – الأطباء، والممرضين، ومدير المستشفى، و مخزن الأدوية ايضا ..

يقف المريض منهم ليزاحم المرضى الآخرين، وهو يسب المستشفى .

ثم يصل إلى حجرة الكشف، وهو يسب مدير المستشفى .

ويدخل حجرة الكشف ليناكف الأطباء و يحرق دمهـــم ثم يخرج و هو يسب الطبيب .

وعندما يصل إلى صرف الدواء — حيث يصرفون له بديلـــه كالمعتاد — يذهب حاملا علاجه فى يده، وهو يسب البلد الـــتي سببت له هذه الأمراض .

أنا أيضاً بشر . أحتاج إلى المال ككـــل النـــاس، ولـــذلك فالكشف عندي بمائة جنيه، و المستعجب بمائة و خمسين ..

يووووه ..

الولد الصغير السخيف يقترب من سيارتي وهو يحمل فى يده فوطة قذرة ..

أظن أن هذا الولد يستأجر تلك الإشارة، وإلا فلم يقف فيها كل يوم .؟؟

- ٢٤ -

سينما مترو

الناس ظلّمة و الله ..

طفل صغير مثلي يعرج فى مشيته، و يمسح زجاج السيارات يزجرونه كما يزجرون كلب أجرب ..

معلش ..

غدا عندما أكبر سيدفع هؤلاء الثمن غاليا ..

ماذا يعرفون عني، وعن حياتي حتى يعاملوني بقرف هكذا؟؟ دعهم يغترون بفلوسهم، وبيوتهم ..

معلش ..

ماذا رأوا فى الحياة .؟؟ أنا الذي نمت على كل الأرصفة، وأكلت من الزبالة .. أنا الذي أرتدي الهلاهيل فى عز البرد .. أنا الذي أتمرمط طوال اليوم ليأخذ زوج أمي ما أكسبه .. ولا يكفيه هذا بل أعمل – فى غياب أمي – كزوجته فى بعض الأيام .

و الدنيا كزوج أمي تفعل بى ماتشاء ..

معلش ..

أنا أكرهكم .. هل تعلمون أنه لاشيء يسعدني أكثـــر ممـــا أسمعه عن سقوط عمارة على رؤوس سكانها .؟؟

يستاهلوا لأنهم يسكنون في شقق .

هل تعلمون أنني أسعد بجرائم القتل ..؟؟

ياسلاام عندما تتصادم سيارتان .؟؟

يستاهلوا لأنهم يركبون الـــسيارات، ولا يـــسيرون حفـــاة مثلي..

ياسلاام لو يموت كل الناس ..

أحمل في جيبي – ككل الشباب – مطـــواة، وأتمـــنى لـــو استخدمتها في يوم ما ..

تتساءلون لم أتلفت حولي .؟؟

أنا سأهرب اليوم من زوج أمي .. سأقفز في أول أتـــوبيس يمر من هنا، وأذهب إلى أي مكان ..

أسرق .. أقتل .. أعتدي على الصغار .. سأفعل أي شـــيء لأمر عليكم حياتكم ..

أنا ابنكم الذي يكرهكم ..

معلش ..

الحساب قريب ..

خافوا على أنفسكم من الآن ..

خبّئوا أموالكم مني ..

- ٢٥ -

اخفوا نسائكم عني ...

يا ليت غضبي يُفجر جسدى بينكم الآن ..

انتظروا ..

ها هو الأتوبيس قادم ..

سأقفز فيه، وليحملني إلى الشيطان ..

اقفز ..!

***

- ٢٦ -

خطوة نحو الحافة

لابد أن الناس فى جهنم - و العياذ بالله - سيُحـــشرون في أتوبيس كالذي أقف فيه الآن. ستشوي النار هيكل الأتـــوبيس فيفح لهيبه على المعذبين أضعافاً مضاعفة و

....

....

....

....

تمت بحمد الله

الكاتب

سامح الجباس

طبيب وروائى من بورسعيد

مواليد يناير ١٩٧٤

عضو اتحاد كتاب مصر

عضو نادى القصة بالقاهرة

صدر له :

المواطن المثالى – قصص – دار ميريت ٢٠٠٦

حى الافرنج – رواية – دار العين للنشر – ٢٠٠٨

